وكان ناظرهُ نصير الدين الطوسي الفائق الشهرة . لهُ عدد كبير من المصنَّفات الجليلة وزيج حسن

واشتهر بعد مراغة مرصد سمرقند وكان اولوغ بك حفيد تيمور لنك جعلها كمركز للعلوم ودعا اليها مشاهير الفلكيين وصنَّف معهم زيجاً يُعرف بهِ وكان من جملة علماء مرصد سمرقند حسن چلبي المعروف بقاضي زاده وغياث الدين الجامي وعلي بن محمود الخجندي ومحمد الجغميني

ولولا خوف الاطالة لذكرنا ايضاً مراصد الاندلس والمغرب . وفي ما تقدَّم شاهد على همَّة العرب في زمن الخلافة لتعزيز العلوم وبث المعارف في انحاء المشرق (البقيَّة للآتي)

الصابئة او المندائية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (لاحق بسابق ص ٦٦٨)

ويُحسن بنا ان نورد هنا الالفاظ المشتقة من كلٍّ من هذين الحرفين (إيل وديف) وكيفيَّة انتقال معنى هذه المشتقات الى اسماء تدلّ على النور او السماء او نحوهما ثمَّ الى اسماء الاصنام كلُّ امَّة بحسب معتقدها او تدرُّجها فيهِ مستيةً بتلك الاسماء اول إله عظيم اتخذتهُ بعد إله الحق ثم نقلتهُ شيئاً فشيئاً الى صفاتهِ تعالى ثم حُصرت تلك الصفات في آلهة مختلفة

وفي ذكرها هذا الاشتقاق فائدة اخرى وهي ادعام رأي قدم التوحيد عند جميع امم المعمور ثم انتقالهُ الى الصابئة او عبادة الاجرام العلويَّة . ثمَّ الى عبادة تماثيلها تَرْكاً منها . وهو رأي علماء عصرنا فضلاً عن انَّهُ رأي العلماء الاقدمين المستند على كتاب الله العظيم

اما معنى « إيل » و « إل » فقد اختلفت آراء العلماء في اصل اشتقاقهِ وان اتفقوا في مؤدَّى معناهُ اي الاله . فمنهم من قال انهُ غير مشتق بل انهُ اصل ومعناهُ : القوة والقدرة والشجاعة والبسالة . ومنهُ : « الإلّ » بالعربيَّة بمعنى الربوبيَّة او الإله . ومنهم من قال انهُ مشتق من اصل معناهُ العُلوّ لان الكلدان والاشوريين الاقدمين يقولون « إيلو » بمعنى ايل . وابدال الهمزة بالعين والعكس بالعكس امرٌ مثبتٌ مشهور . وعليهِ فيكون معنى إيل او إيلو : العلي او العالي العربيَّتين . ومنهم من قال انهما مشتقة من « أَلَهَ » المائت اليوم في الاصول الساميَّة ما خلا العربيَّة ومعناهُ : « عَبَدَ » ومحصَّلهُ : « المعبود » وذهبت جماعة من المحدثين من علماء الاشوريَّة وغيرها ان اصل اللفظة بادئ

بدو هي « أن » باللغة السومريّة وهي اقدم اللغات عندهم على ما استنتجوهُ الى هذا اليوم من قراءة المندرَجات المسماريّة. ثمَّ ضُوعفت وصارت « أنَّا » ومن بعد ان كان معناها في الاول الإله صارت في العرف بمعنى السماء ثم نُقلت الى اسماء آلهة او ارواح او أصنام(١

اما الساميون فانهم ابدلوا نون « أن » بلام وقالوا: « أل وإل وأيل وإيل وإيلو » والخلاصة ان الآراء كثيرة متشعّبة لا يسعنا ذكرها. ولإيل اسم آخر عند العبرانيين وهو עליון (عليون elion) وهي مشتقة من עלה العبرانية التي يقابلها في العربيّة « علا » وهي بمعناها. ومن مشتقّ ايل العبرانيّة اي אלהה أَلاهة بتثليث الهمزة وأليهة. قال في التاج في ترجمة هذه المادة: (هي) « الشمس. غير مصروف بلا الف ولام. وربَّما صرفوا وادخلوا فيهِ الالف واللام وقالوا الالاهة فكانهم سموها إلاهة لتعظيمهم لها وعبادتهم اياها. . . » ومن هنا ترى ان العرب نقلوا اسم الاله الى الشمس. (وكما ان هذا التيّر مؤنث اللفظ عندهم زادوا التاء في الآخر) ثم بعد ذلك عبدوا الشمس بصورة اصنام مختلفة الهيئات والاشكال فصار من معنى الالاهة ايضاً: « الحيَّة والاصنام » (القاموس)

وقد سمَّى الفينيقيون اعظم آلهتهم او أصنامهم « إل او إله او عليون » قال سنكين يتن: « ان ايل الذي يسميهِ الفينيقيُّون اسرائيل وهو الذي مات متقمِّصاً للكوكب زُحل. . » (راجع تاريخ لبنان للاب مرتين ص٢١٨ وفي مواطن شتى) وكان يُسمّي اليونان ميزوثة « ايلوتي » اي الاهتي (فيهِ ص٢٥٠ و ٢١٨). ثمَّ ان الفينيقيين عبدوا هذين الجرمَين العلويَّين بهيئة اصنام مختلفة. وقد اخذ اليونان عن هؤلاء اغلب معبوداتهم ومما يُناسب اشتقاق إيل عندهم Ἥλιος و Ἥλ وهو زحل عندهم و Ἥλιος ويُراد بها الشمس ثمَّ عبدوهما ونحتوا لهما أصناماً كما فعلت العرب. وحبَّا بالاختصار نقول: قابل هذه الالفاظ ومشتقاتها مع جميع الفاظ الساميَّة ترَ العجب من ذلك. اللهمَّ الَّا في اللغات الحبشيَّة فان هذا الاصل (ا ي ل) لا وجود لهُ بهذا المعنى ولعلهُ قد فُقد واذا تتبَّعت كل ما اشرنا اليهِ تتحقَّق ان الاديان قبل فسادها كانت توحيديَّة ثمَّ صابئيَّة ثمَّ وثنيَّة

اما لفظة دَيف او دَيو Dev *ou* Dew المشهورة في فروع اللغة السنسكريتيَّة بمعنى النور او السماء فلا شكَّ انهُ كان يُراد بها بادئ بدء معنى « الإله » ثمَّ نُقل الى

(١) راجع مثلاً كتاب Lenormant: *La magie chez les Chaldéens*, pp. 15, 139, 140, 142, 144, 145, 283, 318, 323

معنى « النور او السماء » على الطريقة التي ذكرناها . وقول العلماء ان هذه اللفظة لا وجود لها في اللغات الساميَّة فليس عندي بثبتٍ ولهذا قلنا في صدر هذه النبذة : « ولله اسمان شهيران إيل الساميَّة وديث « الموهومة » عند العلماء سنسكريتيَّة . وهذا الحرف موجود في اللغة العربيَّة بلفظة : « ضوء » وبالسنسكريتيَّة ديث او دَيْث Div ou Dev وفي اليونانيَّة Θεός ثم اشتقوا منها Zeús بمعنى المشتري وفي اللاتينيَّة Deus (١ وفي الزندية والبهلويَّة والفارسيَّة « دَيو » وفي المصريَّة طوط او ثوث Thout وبالصينيَّة « تي » او « تيان » . واذا اردنا ان نستقري هذه اللفظة ومصحَّفاتها في جميع اللغات المتفرِّعة من هذه الأمهات لتغلغل بنا الكلام الى ما يضيق به نطاق هذه المجلة ويخرجنا عن الموضوع ولذا اكتفينا بالاشارة عن الاستفاضة في العبارة . لكن مما يجب ان ينتبه اليه القارئ هو ان هذه الاسماء المذكورة كلها من بعد وضعها للدلالة على ذات الجلالة عينها نُقلت بعد ذلك الى معنى النور والسماء ثم الى الشمس او الى احدى الكواكب ثمَّ الى تمثيلهنَّ بهيئة الاصنام فلم يَعد معناها عندهم مشهورًا في اغلب الاحيان الَّا بمعنى تلك الاصنام

هذا وان ما اوردناهُ هنا هو عن اسمَي الجلالة لا غير . لكنَّنا تتبعنا على حدة اسماء الاصنام عند سائر الاقوام فرأينا اغلبها ترجع الى هذا الاصل اي الى انها كانت قبلًا اسماء كواكب او نحوها . وقبل هذا الاصل كانت من صفات الله عزَّ وجلَّ او من اسمائه . امَّا البعض الآخر وهو القليل فقد خفي عنا وجه ردِّه الى اصله وهو بدون مراء لا يخفى على غيرنا من المتبحرين في هذه المواد . ثم وان كانت لا تُردّ الى هذا الاصل فبكونها قليلة العدد فلا يُعتدُّ بها (١

امَّا الصابئة الحاليون فقد بقي لهم من هذا الطور اسماء كثير من روحانيِّيهم او روحانيَّاتهم (هكذا سمَّى العرب المتوسطين الذين بين ذي الجلالة والانسان على ما

---

١) ونقول هنا استطرادًا ان كلمة dies اللاتينية التي معناها « اليوم » والمشتق منها day الانكليزية مأخوذة من div السنسكريتيَّة بمعنى « الضياء » العربية لكنها صُحّفت قليلًا لافادة معنى جديد وهي مشتقة اشتقاقَ « النهار » العربيَّة من « النُّور » المائة بهذا اللفظ بالعربيَّة والمقلوبة فيها « نورًا » بابدال الهاء واوًا كما قالوا في هَنَسَهُ : وَنَسَهُ وفي ماهيّ : ماويّ . ونحوها . والنُّور بهاء بمعنى النور او الضياء موجودة في السريانيَّة نهورُا والعبرانية נהר وسائر اللغات القديمة الساميَّة واشتقاق dies (دیا بعد حذف السين) من « ضياء » السنسكريتية لم يصرّح بها احدٌ من العلماء . فاحفظها

تخيّلهُ هؤلاء الصابئة والأدريون (١ (gnostiques) ويُسمي الافرنج هذه الروحانيات «éons» وهي كلها راجعة الى معنى النور او شبهه) . ولا مرية في ان هذه الحقيقة من الشواهد الدامغة الدالّة على معتقدهم الاول . والّا لو كانوا فرقةً نصرانيـة نشأت في القرون الاولى للمسيح كما يظنهُ البعض فانّى لهم تلك الاسماء والمسمّيات . والنصارى على اختلاف مللهم ونحلهم لا يعتقدون بشيء من ذلك . ومن تلك الاسماء مثلاً : انبوط زيوا . وزُهَير وزَهرون وشيشلام زيوا وهيول زيوا وغيرهم

ومن بقايا هذا الطور ايضاً تكريم الصابئة الحاليين للكواكب والنجوم وفي مقدّمتهـا السيّارات السبع وبالاخص النجم القطبي . فانهم لا يتيمّمون سنّة من سننهم ولا شعيرةً من شعائرهم ولا عملاً دينيّاً من أعمالهم الّا وقبلتهم هذا النجم واذا أرادوا ان يبنوا بيعتهم جعلوا بابهـا مفتوحاً بحيث ان وجه الداخل يكون مستقبلاً نجم القطب تبركاً بطلعتهِ . ولهم سُنَن أخرى لتكريم الشمس والقمر والزهرة الخ . وكل ذلك لا يوجد في فرقةٍ من فرق النصارى . ومن آثار هذا الطور ايضاً اعمال كثيرة لا تتمّ الّا بعـد استخارة الكواكب كما كان يفعلهُ قدماء الاشوريين والبابليين والكلدانيين من ولادةٍ وزواج وتطبيب وتقليد الكهنوت ودفن وغير ذلك

امّا شواهد المؤلفين على ان الصابئة عبدوا النجوم اولاً ثمّ الاصنام بعد ذلك فهي اشهر من ان تُذكر ولا بُدّ من ان نستشهد في كل طور من الاطوار الاربعـة باقوال

---

١) الادريُّون نسبةً الى « أدْري » مضارع درى في المتكلم المفرد . ويُراد بهم طائفـة من سَقَط الفلاسفة ارادوا الجمع بين النصرانية والمذاهب الشرقيّة المتضاربة . ولا بدّ من انك تتعجّب من اتباعنا بعض العلماء بادخال ياء النسبة على الفعل . قلنا لا عجب من ذلك فاهم لما نسبوا الى لفظة « أدري » اعتبروا فيها الحكاية لقول هؤلاء الفلاسفة الفـاقـة افهم يدرون كلّ شيء . وعليهِ فان اعتبرت الحكاية في اللفظة جاز لك حينئذٍ ان تتصرّف بها تصرُّفك بالاسم فتدخل عليهـا اداة التعريف وتنسب اليها لا بل ويجوز لك ان تعربها وتصرفها سواء كانت تلك اللفظة فعلاً او حرفاً . وقد ورد مثل هذا في كلام قدماء الجاهليّة فاهم سمّوا الكبير السن الذي يقول : « كنتُ في شبابي كذا وكذا » كُنْتِيّاً او كُنْتُئِيّاً . قال الشاعر :

وما كنتُ كنتيّاً وما كنتُ عاجناً وشرّ الرجـال كُنتُئِيٌّ وعاجنُ

واما في الحروف فقد نسبوا الى كم وكيف وغيرهما . وقد اعربوا كثيراً منها كقول ابى زبيدٍ الطائي :

ليتَ شعري واين منّي ليتٌ انّ لَيْتاً وانّ سوفاً عناء

وقد ذكرنا كل ذلك لانّ جماعة من المحدثين المتفرّنين انكروهُ فاردنا ان نُفحمهم بشواهد اهل الجاهليّة

الاثنة وبالاخص بائمة الشرق لقربهم من الصابئة ونشوئهم معهم. قال الشيخ شمس الدين محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزيّة في كتابهِ « اغاثة اللهفان. في مصايد الشيطان » ما نصهُ:

« اصل هذا المذهب (اي عبادة الاصنام عند المتود) من مشركي الصابئة وهم قوم ابراهيم عليهِ السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسر حجّتهم بعلمهِ وألهتهم بيدهِ فطلبوا تحريقهُ. وهو « مذهبٌ قديم في العالم ». واصلهُ طوائف شتى. فمنهم عبّاد الشمس. زعموا انها ملكٌ من الملائكة لها نفسٌ وعقل. وهي اصل نور القمر والكواكب وتكوّن الموجودات السفليّة كلها عندهم منها. وهي عندهم ملك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والدعاء. ومن شريعتهم في عباداتها انهم اتخذوا لها صنماً بيدهِ جوهرٌ على لون النار ولهُ بيت خاص قد بنوهُ باسمهِ وجعلوا لهُ الوقوف الكثيرة من القرى والضياع ولهُ سدنةٌ وقوّام وحجبةٌ يأتون البيت ويُصلّون فيهِ لها ثلاث كرّات في اليوم ويأتيهِ اصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويُصلّون ويدعونهُ ويستشفون بهِ. وهم اذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها واذا غربت واذا توسطت الفلك. ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الاوقات الثلاثة لتتم عبادتهم وسجودهم لهُ. ولهذا نهى النبي صلعم عن تحري الصلاة في هذه الاوقات قطعاً لمشابهة الكفّار ظاهراً. وسدّاً لذريعة الشرك وعبادة الاصنام. وطائفة اخرى اتخذت القمر صنماً وزعموا انهُ يستحق التعظيم والعبادة واليهِ تدبير هذا العالم السفلي. ومن شريعة عبادتهِ انهم اتخذوا لهُ صنماً على شكل عجل او نحوهِ من ذوات الاربع وبيد الصنم جوهرة يعبدونهُ ويسجدون لهُ ويصومون لهُ اياماً معلومة من كلّ شهر ثمّ يأتون اليهِ بالطعام والشراب والفرح والسرور. فاذا فرغوا من الاكل اخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديهِ. ومنهم من يعبد أصناماً اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيّتها بزعمهم. وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكلٌ يخصّهُ وصنم يخصهُ وعبادة تخصهُ...

« وكلّ هؤلاء مرجعهم الى عبادة الاصنام فانهم لا تستمرّ لهم طريقة الّا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون اليهِ ويعكفون عليهِ. ومن ههنا اتخذ اصحاب الروحانيات والكواكب اصناماً زعموا انّها على صورتها « فوضعُ للصنم انما كان في الاصل على شكل معبود غائب فجعل الصنم على شكلهِ وهيئتهِ وصورتهِ ليكون نائباً منابهُ وقائماً مقامهُ »

والّا فمن المعلوم ان عاقلًا لا ينحت خشبةً او حجرًا بيدهِ ثمَّ يعتقد انهُ إلههُ ومعبودهُ ». انتهى كلام فخر الدين وقد اوردناهُ بالتفصيل لما فيهِ من الفوائد الجليلة ولعزة وجود الكتاب وجهل الناس هذا الكلام (ستأتي البقيَّة)

الدين المسيحي بازاء العالم الوثني

للسيد الجليل والعلامة النبيل جرمانوس معقَّد مطران اللاذقيَّة

هي نبذة انتقاها سيادة المؤلف الفضال من كتاب لهُ بديع لم يُنشر بعد بالطبع دعاهُ « رحلة الفيلسوف الروماني الباحث عن سيرة المسيح ». وفي هذا الفصل يُمثِّل فيلسوفًا دعاهُ مرقس في ظاهر مدينة رومية يتباحث مع رفيقٍ لهُ عن امر الاديان اذ يمرُّ بها بطرس الرسول قادمًا من اليهوديَّة ليبشِّر بدين المسيح في عاصمة القياصرة (المشرق)

فلمَّا وصل مرقس ورفيقهُ الى هضبةٍ عنقاء (١ ارتقيا اليها وجلسا على قمتها المشرفة على السهول المغامض (٢ يسرِّحان الطرف في تلك المناظر الانيقة الشائقة. فاخذت رفيقتهُ هزَّة الطرب وطفق يترنَّم. امَّا مرقس فكان صامتًا واجمًا كأنَّ على رأسهِ الطير تلوح على وجههِ علائم الكآبة والحيرة. فسألهُ رفيقهُ عن شأنهِ واستوضحهُ سبب كآبتهِ فتنهَّد الصعداء ورفع رأسهُ الى السماء ثمَّ التفت اليهِ وقال احسنت يا صالح بسؤالك عن شأني لانَّ المرء يتعزَّى بشرح حالهِ وكشف همومهِ الى اصحابهِ. ولاسيَّما لانَّ الامر الذي يهمني ويُقلق خاطري لجديرٌ بان يهتمَّ لهُ كل انسان. وينبغي ان يشغل خاطرك كما يشغل خاطري على السواء.

— قد زدتني رغبةً في الوقوف عليهِ فتكرَّم بايضاحهِ

— ان الكرب الذي اتجرَّع غُصصهُ ليس بحديث لانهُ تضيَّقني منذ بضع سنين وما برح ملازمي ليلَ نهار وهو يشتدُّ ويعظم حتى بلغ اقصى الدرجات وحتى كلَّ ما تاليَ من اسباب المسرَّات. فاخشى ان كاشفتك بهِ ان يصيبك البلبال الذي انا فيهِ

— لا تخشى بأسًا فربَّ امرٍ يرتاض لهُ شخص ولا يبالي بهِ الآخر

— اذن راعني سمعك وأحسن الاصغاء الى ما اقصهُ عليك من اسباب اشجاني: فاعلم يا صاحبي اني ممَّن قرأوا الدروس الفلسفيَّة واوغلوا في البحث عن الكون

١) المرتفعة الطويلة ٢) الاراضي المطمئنَّة